شرح العقيدة الواسطية

الدرس الثالث عشر

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ أمّا بعد:

فيقول المؤلف رحمه الله تعالى: **(فَصْلٌ: وَمِنَ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ: الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ)**

قوله: (وَمِنَ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ) قد تقدم معنا ما ذكره المؤلف رحمه الله وما ورد في حديث جبريل الذي سأل فيه النبي ﷺ عن الإيمان؛ فقال من ضمن ما ذكر: "أن تؤمن باليوم الآخر"؛ فالإيمان باليوم الآخر هو أن نُصدق بقيام الساعة، وهذه أدلتها واضحة وصريحة ومحكمة لا إشكال فيها، ومن أنكر هذا اليوم؛ فهو كافر خارج من ملّة الإسلام، ثم بعد ذلك أمورٌ تحصل في هذا اليوم هي داخلة في ضمن الإيمان بهذا اليوم، ويريد المؤلف رحمه الله الآن أن يبين لنا هذه الأمور، وقبل ذلك ذكر لنا أنّها داخلة ضمن الإيمان باليوم الآخر، والأمور التي سيذكرها المؤلف رحمه الله ها هنا تترتب على النحو التالي:

سيذكر المؤلف الطريق إلى هذا اليوم وهو القبر؛ فالمرحلة التي تأتي بعد الموت هي مرحلة القبر، مرحلة البرزخ وهذه المرحلة وما يمرّ به المرء أمورها غيبية.

كذلك ما يحصل بعد البعث من القبر يوم القيامة أموره غيبية.

وما يحصل قبل ذلك من علامات الساعة أمورها أيضاً غيبية.

وما يحصل من دخول الناس إلى الجنّة وإلى النّار وما فيهما، هذه كلّها من الأمور الغيبية.

والنّاس لا يتفاضلون في مسألة الإيمان بالأمور المشاهدة، فالمُشاهَدُ الكلّ يؤمن به ولا يُكذّب به؛ لكن محل التفضيل هو الإيمان بالغيبيات، وهذه الأمور المذكورة كلّها من الغيبيات، من الأمور التي لا تدرك بالفكر والعقل وإنّما تدرك بالخبر، فإذا جاء الخبر عن الله أو عن رسوله ﷺ؛ لزم الإيمان به والتصديق وعدم ردّه؛ لا الردّ بالتكذيب ولا الرّد بالتحريف والتأويل، لأنّه لم يُوافق عقلاً من العقول الخربة أو لم يُوافق رأيّاً رآه شخص؛ فهنا يبدأ المؤلف رحمه الله بتفصيل ما يمرّ به الإنسان بعد موته؛ فيقول:

(وَمِنَ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ) حتى دخول الجنّة أو النّار؛ فنحن مأمورون بالتصديق بقيام الساعة وبما يحدث في هذا اليوم مما جاء ذكره في الكتاب والسنة.

ثم قال بعد ذلك: **(فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ)**

الإنسان بعدما يموت يوضع في قبره، فإذا وُضع في قبره فهو مُعرض لفتنة هناك، أخبر بها النبي ﷺ، وأيضاً إمّا عذاب وإمّا نعيم على حسب الشخص؛ فالمؤمنون وأهل السنة عقيدتهم الإيمان بفتنة القبر، وهذه الفتنة معناها الامتحان والاختبار الذي يقع على المرء من قِبَلِ ملكين؛ عندما يُوضع في قبره يأتيه الملكان فيُجلسانه ويقولان له من ربّك؟ وما دينك؟ وماذا تقول في هذا الرّجل الذي بُعث فيكم؟ فإذا كان مؤمنا صالحاً قال: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ، وإذا كان كافراً قال: هاه هاه لا أدري.

هذا بداية الحديث، فدلّ هذا الحديث على وقوع فتنة القبر وأنّ النّاس يُمتحنون في قبورهم على ما جاء في الأحاديث الصحيحة، ومن هذه الأحاديث حديث البراء بن عازب الذي ذكرنا معناه.

ففتنة القبر حقٌّ ثابت نؤمن به، وسؤال الملكين أيضاً حقٌّ ثابت نؤمن به، والبعث بعد الموت حقٌّ كذلك.

ولكن قبل ذلك لابدّ أيضاً أن نؤمن بعذاب القبر ونعيمه، فعذاب القبر ونعيمه كذلك ورد في أحاديث صحيحة كثيرة، ومنها حديث البراء بن عازب هذا الذي ذكرناه.

جاء في أحاديث كثيره ذِكر عذاب القبر، والأحاديث في ذلك متواترة، وتواترها تواتر معنوي، ومعنى التواتر المعنوي أن تأتي عدة أحاديث مختلفة في ألفاظها لكنّها بالجملة تدلّ على معنى من المعاني، عندئذ يكون تواترها تواتراً معنوياً كعذاب القبر.

فإذا نظرنا في الأحاديث التي وردت في عذاب القبر وجدنا مثلاً الحديث الذي فيه أنّ النبي ﷺ كان يقول آخر دعائه: "اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات "... الخ، كذلك جاء عن النبي ﷺ أنّه مرَّ بقبرين فقال: "إنّهما يعذبان وما يعذبان في كبير"، كذلك جاء عن عائشة رضي الله عنها أنّ يهودية جاءتها فقالت: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة النبي ﷺ عن عذاب القبر؟ فأقر النبيُ ﷺ بعذاب القبر، وأحاديث كثيرة، جملة هذه الأحاديث وغيرها من الأحاديث تدلّك جميعاً على معنى واحد وهو وقوع عذاب القبر.

فالأحاديث الواردة في ذلك متواترة؛ هو خبر يقيني؛ فلا شكّ في وقوع عذاب القبر، كذلك وجود نعيم في القبر هو أمر ثابت لا شكّ فيه.

قال: (فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ)

حديث البراء المتقدم ذُكر فيه النعيم وذكر فيه أيضاً العذاب، ولعلنا نذكره تاماً إن شاء الله بعد أن ننتهي من كلام المؤلف.

قال: (فَأَمَّا الْفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ)

أي: يُمتحنون في قبورهم.

قال: (فَيُقَالُ للرَّجُلِ: مَن رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَن نَّبِيُّكَ؟ فيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ)

يشير المؤلف هنا إلى أنّ هذه الآية فيها إشارة إلى إثبات هذا الامتحان؛ هذا الاختبار، قال: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} فقالوا من ذلك فتنة القبر.

قال: (فَيَقُولُ الْمؤْمِنُ: رَبِّيَ اللهُ، وَالإِسْلاَمُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي، وَأَمَّا الْمُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: هَاه هَاه؛ لاَ أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ)

معنى المرتاب: الشاك الذي يشكّ.

قال: (فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ)

المرزبة هي: المطرقة الكبيرة، نسميها نحن: (المهدّة) ويسميها بعض أهل المغرب (الماصة)، هذه هي المرزبة.

قال: (فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إلاَّ الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ لَصُعِقَ، ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ)

كلّ هذا ورد في أخبار صحيحة عن النبي ﷺ فالواجب الإيمان بها.

حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ

عن البراء بن عازب؛ قَالَ: (خَرَجْنَا مَعَ رسولِ الله ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ) خرجوا مع النبي ﷺ إلى جِنازة قال: (فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ) يعني: وصلوا إلى القبر، (وَلَمَّا يُلْحَدْ) أي: ولم يحفروا اللحد بعد، (فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ) ينتظرون

أن يُتم الحافر الحفر، (وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرُ) هدوء وسكوت يسمعون، (فِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ) أي: النبيُ ﷺ؛ (فَقَالَ: "اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ" مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا) وهذا أيضاً من الأحاديث التي تثبت عذاب القبر، (ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنْ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَام حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ) هذه النفس الطيبة؛ النفس المؤمنة، (فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ) يعني رائحة طيبة (فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى قَالَ فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فِي مكانه فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ دِينِيَ الْإِسْلَامُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ فَيَقُولُ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ وَمَا عِلْمُكَ) يعني: من أين لك؟(فَيَقُولُ قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ عز وجل فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ) هذا فيه إثبات نعيم الجنّة في القبر (فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، قال :وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ لَهُ مَنْ أَنْتَ

فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ فَيَقُولُ رَبِّ أَقِمْ السَّاعَةَ رب أقم الساعة حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي.

قَالَ: (وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنْ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمْ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنْ اللَّهِ عز وجل وَغَضَبٍ قَالَ فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنْ الصُّوفِ) كأنّك تضع شوكاً في صوف ثم تنزع هذا الشوك (الْمَبْلُولِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ فَيَقُولُونَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: {لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ}، قال: ثم يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا.

ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ}، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي. فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوا لَهُ مِنْ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوؤُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمْ السَّاعَةَ، رَبِّ لَا تُقِمْ السَّاعَةَ")

هذا الحديث بطوله، وفيه كلّ ما ذكر المؤلف رحمه الله من فتنة القبر ومن نعيمه وعذابه.

قال المؤلف رحمه الله: **(فصل: إِلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرى، فَتُعَادُ الأَرْوَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ)**

أي: يبقى العبد في قبره على هذا الحال إلى أن تقوم القيامة الكبرى؛ ففرّق المؤلف رحمه الله بين القيامة الكبرى والقيامة الصغرى بقوله هنا: القيامة الكبرى، فالقيامة الصغرى هي موت العبد، ولكلّ عبد قيامته الخاصة، فكلّ عبد يموت تقوم قيامته الصغرى فإنّه إذا وضع في قبره بدأ النعيم أو بدأ العذاب- نسأل الله أن يعافينا وإياكم-.

وقد ورد حديث في تسمية الموت بأنه الموتة الصغرى التي هي القيامة الصغرى، لكنه حديث ضعيف لا يصح، ووردت آثار ثابتة عن حذيفة وغيره.

(إِلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرى) وهي التي يقوم الناس فيها من قبورهم ويُبعثون بعد موتهم؛ فتُعاد الأرواح إلى الأجساد؛ يعيدها الله تبارك وتعالى ثم يقومون.

قال: **(وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ)**

وأدلتها من الكتاب والسنة مشهورة معلومة؛ منها قول الله تبارك وتعالى: {الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ}، والأحاديث التي فيها ذكر قيام الساعة كثيرة جداً ومشهورة، والإجماع منعقد على ذلك.

قال المؤلف رحمه الله: **(فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً)**

يقوم الناس من قبورهم كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ وكما جاء أيضاً في كتاب الله تبارك وتعالى: حفاة لا يلبسون النّعال، عراة: أي ليس عليهم ثياب، غرلاً: أي ليسوا مختونين؛ فخلقهم تام لا ينقص منه شيء.

قال: **(وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ)**

يعني تقترب الشمس منهم في المحشر، عندما تقوم الساعة ويحشر الناس تقترب الشمس من الناس ثم تصيبهم بحرّها ويعرَق البشر، فمنهم من يصل عرَقه إلى الكعبين ومنهم إلى الركبتين ومنهم ما هو أعلى من ذلك ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً.

جاء في الحديث أنّ النبي ﷺ قال: "يُحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقُرصَة النقي ليس فيها عَلَم لأحدٍ"، كقرصة النقي يعني: كالرغيف المنخول، وقال الله تبارك وتعالى: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ}، وجاء عن النبي ﷺ أنّه قال: "إنّكم تحشرون حفاةً عراةً غرلاً"، ثم قرأ: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ}، وجاء في حديث آخر قال: "يُحشر الناس يوم القيامة عراةً غرلاً بُهْماً"، قلنا: وما بُهْماً؟ قال: "ليس معهم شيء".

قال المؤلف: **(وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ)**

أي: يصل منهم إلى موضع اللجام من الفرس، يعني إلى الفم، وهذا أيضاً وردت فيه الأحاديث عن النبي ﷺ، والحديث مذكور في الصحيح[1].

قال: **(فَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ)**

قال الله عز وجل: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}، وجاء عن النبي ﷺ أنّه قال: "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم"، وحديث البطاقة المشهور بأنّ الصحائف توزن فتطيش بهم صحيفة: لا إله إلّا الله، وكذلك جاء في الحديث بأنّ الرجل لا يزن عند الله جناح

١- الحديث في "صحيح مسلم" (٢٨٦٤) عن المقداد بن الأسود؛ قال: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ» - قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمِ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ - قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا» قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ)

بعوضة؛ فكل هذه الأحاديث تدلّ على أنّ أعمال العباد توزن وصحائفهم أيضاً توزن ولا تعارض في ذلك؛ فكلّه يوزن.

قال: (**{فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ}**)

كل هذه الأدلة تدلّ على أنّ أعمال العباد توزن.

قال: (**وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ**)

(وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ) أي: يُعطى الناس صحائفهم في أيديهم، كما قال الله سبحانه وتعالى: {كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} فهؤلاء الملائكة يكتبون في الصحف، ثم بعد ذلك جاء في الحديث أنّ الناس يأخذون هذه الصحف بأيديهم، وجاء في الآيات ما يدلّ على ذلك أيضاً، فمن كان من أهل الإيمان؛ أخذ كتابه بيمينه، ومن كان من أهل الكفر؛ أخذ كتابه بشماله.

قال: (**فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}**)

{طائره} أي: عمله.

وهذا من عدل الله تبارك وتعالى؛ أن يُوكِّل الحساب إلى الإنسان نفسه، ينظر في عمله ويحاسب نفسه بنفسه.

قال: (**وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلائِقَ**)

يحاسب الله سبحانه وتعالى الناس كما في قوله تبارك وتعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا}.

قال: (**وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ**)

هذه طريقة الحساب؛ يخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه؛ أي: يقول له: أنت فعلت كذا وفعلت كذا وفعلت كذا.

قال: **(كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)**

جاء في الحديث أنّ الله سبحانه وتعالى يخلو بالعبد المؤمن ويطلعه على أعماله، ثم يقول له: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك.

قال: **(وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَلا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُم لاَ حَسَنَاتَ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ، فَتُحْصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا ويخزون بها)**

يعني: إنما يُفعل بهم هذا كلّه نكاية بهم وخزياً لهم، وإلّا هم أعمالهم ليست محلاً للوزن؛ أعمالهم كلّها تذهب هباءً منثوراً بكفرهم، ولكن يقررون بها ويَطَّلِعون على أعمالهم من أجل إيقاع الخزي والعار عليهم.

وأمّا الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: {هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}؛ هكذا جاء الحديث في الصحيحين.

هذه بعض الأمور التي تقع يوم الحساب- يوم القيامة-، ومن عادة المؤلفين أن يذكروا أيضاً علامات الساعة قبل أن يدخلوا على ذكر هذه المسائل، فأيضاً من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها: علامات الساعة التي أخبر النبي ﷺ بها ووردت في الأحاديث الصحيحة؛ كنزول عيسى عليه السلام، وخروج الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج؛ هذه كلّها أيضاً أخبار غيبية ذكرت في أحاديث النبي ﷺ، وكما ذكرنا؛ فمن عادة أهل العلم أن يضعوا مثل هذه الأمور في كتبهم؛ لأنّها أخبار غيبية يجب الإيمان بها.

نكتفي اليوم بهذا القدر إن شاء الله.